باب في الأموال والزكاة والمعاملات والحقوق

آدابهـــــا وأحكامهـــا

(الدين المعاملـــــة)

اهتم الإسلام بما يدور بين المؤمنين من تعامُل في البيع والشراء والإجارة والضمان والمساقاة والمزارعة والشركة حتى لقد جاء في الأثر: «**الدين المعاملة**»، ومعناه أن أعظم ما يكشف دين المرء سلوكه في معاملاته، بحيث لا يدخل ظلم ولا ابتزاز ولا احتكار، وقديمًا سأل عمر ﷺ رجلاً: ألا تعرف فلانًا؟ فقال: بلى. قال: هل عاملته بالدينار والدرهم؟ قال: لا. قال: إذن أنت لا تعرفه. إن رجلاً يصلي في اليوم ألف ركعة من النافلة، ثم يغش في المعاملة ويقسو ويبتز ويحتكر ويتحايل لأكل الحرام، أقول: إن رجلاً يفعل فعلاً قد يفضله رجل رقيق القلب لين المعاملة رحيم بالمسلمين، حتى ولو كان الثاني لا يصلي إلا المكتوبة والراتبة.

ومن هنا؛ فإني أقدم إلى الإخوة المسلمين هذه الطائفة من آداب المعاملات إذا التزموها رُجي لهم كل خير بإذن الله، وصرف عنهم كل سوء منقلب في المال والأهل والولد:

أولاً: أن يميل المسلم في تعامله إلى التسامح والرفق والعفاف لتسود في المسلمين روح المحبة والإخاء، وليشعر كلٌّ من المتعاملين أن المؤمنين في تعاملهم إخوة، وما أجمل المعاملة حين تشعر أنك إنما تتعامل مع أخيك، يقول النبي ﷺ: «**إذا أراد الله بقوم نماء رزقهم السماحة والعفاف، وإذا أراد بقوم اقتطاعًا** (أي: نقصًا في الرزق) **فتح عليهم باب خيانة**»، وفي الأثر: «**بارك الله على سهل البيع، سهل الشراء، سهل القضاء، سهل الاقتضاء**»، وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**رحم الله امرأ سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا تقاضى دينه**»، وفي سنن ابن ماجه يقول النبي ﷺ: «**إذا وزنتم فأرجحوا**».

وإذا رأيت أخاك سمحًا فلا تكن جشعًا منتهزًا لكرمه، وخُذْ ما لا يخجله، بل ما تطيب به

نفسه، فقد جاء في سنن الترمذي أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دخل حائطًا** (أي: بستانًا)؛ **فليأكل ولا يتخذ خُبنةً** (ما يحمله الإنسان في حضنه أو تحت إبطه)».

إنَّ من الناس مَن تتعامل معه فتشعر أنه يعطف عليك وينصح لك ويراعيك ويدعو لك، ومنهم من يتعامل معك وكأنه عدوك يود لو يأخذ منك سلعتك دونما مقابل، وإذا أخذ منك عربونًا أكله عليك بنفس مطمئنة للشبهة، مع أن النبي ﷺ نهى عن بيع العربون، أي: أن تأكل عربون أخيك إذا عدل عن الشراء.

ثانيًا: أن يبتعد عن آفات المعاملة، وهي الخيانة والغش والاحتكار والظلم وكثرة الحلف، يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».

وفي سنن أبي داود: «**إنَّ الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر، فإذا خانه خرجت من بينهما**».

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**مَن غش؛ فليس مني**»، وفي رواية البخاري: «**مَن غشنا؛ فليس منا**».

إنَّ المعاملة الكريمة يعتبرها ربنا عبادة مقبولة، ترفع منازل صاحبها في مدارج السالكين، حتى إن بعض التجار وهو يكسب مجتهدًا في رزقه، يقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وابن ماجه: «**التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة**».

وقد نهى الإسلام عن احتكار الطعام؛ لأن فيه تربصًا بالمسلمين أن يحتاجوا ويجوعوا، كما أن فيه قسوة قلب تقطع أرحام المسلمين، ومن هنا نهى النبي ﷺ عن الاحتكار نهيًا صارمًا شديدًا، جاء في سنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «**الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ**».

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس والجذام**».

وفي مسند أحمد أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى**».

وقد مرَّ النبي ﷺ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج إلى بطون الأسواق، وحيث تنظر الأبصار إليها، ولكن حين اقترح بعض المسلمين أن يُسعِّرها غضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وقال: «**إنما السعر إلى الله يرفعه إذا شاء، ويخفضه إذا شاء**».

وقد شاهدتُ بعيني دولاً تتدخل في أسعار الناس؛ حيث تنضج زراعتهم ويتسلمونها ليبيعوها على هواهم في تسعيرها، فيخربون بذلك بيوت المزارعين، ويضيعون تعبهم، حتى إن كثيرًا منهم تركوا الزراعة بسبب ذلك الإحجاف المحرم.

ثالثًا: احترام حقوق العباد مع المحافظة على كرامتهم، فالمؤمن يقضي دينه بطيب نفس، ويدعو للمقرض بحسن الثواب وكريم العوض عالمًا أن حق أخيه مقدس عند الله، حتى لقد كان رسول الله ﷺ ربما لا يصلي على الميت إذا اتضح أن عليه دينًا حتى يقضى دينه. قال رسول الله ﷺ: «**الدين قبل الوصية**»، وهذا يعني أنه لو أن مؤمنًا أوصى ببناء مسجد وكان عليه ديون، فإن الشرع يبدأ بالدين فيقضيه ثم الوصية بعد ذلك.

وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه**».

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن خياركم أحسنكم قضاءً**»، أي: أولئك الذين حين يسددون الدين يبدون طيب نفس وكرمًا وبشاشة، ويحاولون أن يكون ما يدفعونه أنظف وأجمل وأكثر مما أخذوه.

رابعًا: من أدب التعامل أن يشكرك من تعامل معك، ويثني عليك لصدقك وحسن أدائك، وألا تنتهز احتياجه فتبخسه سلعته، فلقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين، وعن بيع الخداع، وما أجمل أن تنظر أخاك في عسرته، وتتجاوز عن بعض حقك عليه، وألا تماطل إذا تيسرت أمورك وألا تسجنه إذا كان معسرًا؛ ففي «مصابيح السُّنة»: «**ليس من عبد مسلم يقضي عن أخيه دينه إلا فكَّ الله رهانه يوم القيامة**»، وفي «مسند الديلمي»: «**اتقوا دعوة المعسر**»، وأن تجعل القرض حسنًا خاليًا من مصالح الدنيا، بل تحتسب الأجر عند الله؛ ففي صحيح مسلم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**».

الحرص على طهارة الكسب

من آداب المؤمن أن يحرص أشد الحرص على طهارة كسبه ونظافة يده ووضاءة رزقه، فلا يسمح بأي حال من الأحوال أن يخالط ماله سحت من رشوة أو اختلاس أو سرقة أو استغلال نفوذ.

إنَّ بعض ضعاف النفوس قد يسول له شيطانه أن مال الدولة حلال لأي مواطن مع أن مال الدولة شأنه كسائر المال حرام على الغال والمرتشي، ولقد كان سلفنا الصالح يحرصون على أموال بيت المال أشد من حرصهم على أموالهم، وكان عمر ﷺ يقول: إنني لو أعلم أن جنديًّا يسرق بسقي الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر، وقصة عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- معروفة حين دخل عليه رجل وهو يكتب على ضوء سراج، فلما جلس الرجل قال لعمر: جئت أكلمك في شأن ضيعتكم بحلوان، فما كان من أمير المؤمنين -رحمه الله- إلا أن أطفأ السراج، وقال للرجل: الآن حدثني لقد أطفأت السراج؛ لأن زيته من بيت مال المسلمين، وقد كنت أكتب بعض شئونهم، فلما جئت تحدثني عن مال يخصني لم أجد لي حقًّا في زيت السراج؛ لأنك تحدثني عن شئوني.. هكذا كان سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم.

لقد حدَّثني بعض موظفي الدولة ممن يعملون في بعض الشئون المالية كالمناقصات أنهم يلقون بلاءً كبيرًا وامتحانًا شديدًا لشدة ما تعصف من حلولهم رياح الرشوة والغلول، والغلول معناه الاختلاس، وأما بعضهم قد يعود إلى بيته، فيجد خادمًا لأحد الموسرين من ذوي المصالح يقدم له مفتاح سيارة فخمة واقفة على باب بيته، وهو يقول له: يسلم عليك سيدي، ويقول لك: هذه هدية متواضعة، وينظر الموظف إلى سيارته القديمة، فيقوم في نفسه صراع، فزوجته تحب الجديد من السيارات والغالي من الفرش والرياش، وقد ظهرت لزملائه نعمة حتى بدت بيوتهم، وكأنها مروج الربيع في هالة من الزخرف؛ فكيف يتماسك في هذا الجو المهول على أني رأيت رأى العين بعض ذوي الاستقامة رفض إغراءات الحرام، ورضي بقسم الله فلم يقبل أن يطعم أهله سحتًا، ومن ثم بارك الله سعيه ونفعه في صحته وولده، وجعل له من أمره يسرًا.

جاءني ذات يوم مقاول من معارفنا فصلي معي في المسجد، واعترف لي بعد الصلاة أن السحت يدخل رزقه؛ لأن كثيرًا من أعماله لا تسير في طريقها إلا إذا لجأ إلى طرق ملتوية، وبدون ذلك قد يحتاج ويستدين، وهو يريد أن يدخل طرقه المتلوية في باب الضرورات كمن اضطر في مخمصة، والحق أن الضروريات تقاس بقدرها، ولقد كان أشياخنا لا يعتبرون ضرورة إلا ما هدد الإنسان في صحته وحياته وولده.

ولقد تنبأ رسولنا ﷺ أنه زمانًا سوف يظل المسلمين يصبح القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، ويدخل فيه الربا كل بيت أو يدخل في البيت غبار الربا على الأقل.

ولقد كان رسولنا ﷺ يتشدد كثيرًا في أمر الغلول، والغلول معناه أن يختلس المرء من مال غيره وكل إليه حفظه، فقد روى الإمام مالك والإمام أحمد وأصحاب السُّنن أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي بخيبر، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**صلوا على صاحبكم**» فتغيَّرت وجوه الناس لذلك، فقال: «**إنَّ صاحبكم غلَّ في سبيل الله**»، ففتشنا متاعه فوجدنا خرزًا من خرز يهود لا يساوي درهمين.

وفي صحيح مسلم عن عمر ﷺ قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كَلاَّ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**» (أي: من أجل عباءة اختلسها)، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ**». قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ «أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ»، وهو يعني أن الشهيد الذي يدخل الجنة هو المؤمن الذي يمنعه إيمانه من الغلول والحرام.

وفي الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لم تغل أمتي لم يقم لها عدو أبدًا**»، ومعنى الحديث أن أمة محمد ﷺ إذا سَلِمَ مقاتلوها من الاختلاس والحرام لم يستطع عدو أن يقف في وجهها يوم معركة.

ولقد صوَّر القرآن الكريم أهل الاختلاس في صورة مضحكة مبكية، فقال ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١]، ومعنى الآية الكريمة

أن المختلس يُؤتي له يوم القيامة بما اختلسه، سواء أكان بعيرًا أو شاةً أو عنزًا، فيعلق في رقبته، وفسَّر النبي ﷺ مقصود الآية في حديثه الكريم الذي رواه الشيخان -رحمهما الله- أنه قال: «**لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيء يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيء يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيء يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيء يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيء يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيء يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ**[1]**، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ الله أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ**».

وفي سنن النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن جاء يوم القيامة بريئًا من ثلاث دخل الجنة: الكبر، والغلول، والدين**».

وفي الحديث الذي رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَتَمَ غَالاً؛ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ**»، ومعناه أن الذي تستر على مختلس أو مرتشٍ؛ فهو مثله.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(١) الحث على العمل والنهي عن التسول

من آداب المؤمن أنك لا تراه إلا ساعيًا أو عاملاً أو مكتسبًا أو محترفًا، ولا يمكن أن تلقاه منغمسًا في بطالة أو كسل أو قعود أو فراغ يحوجه إلى الناس.

المؤمن لا يكون إلا عاملاً دءوبًا ونشيطًا مبكرًا يعجب خلطاءه بدأبه وأدبه ونشاطه

(١) الصامت: ما لا نطق له كالذهب والفضة.

وتبكيره؛ لأن ربنا ﷻ أشاد بالعامل المخلص المحسن لعمله، فقال ﷻ: ﴿**إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾ [الكهف: ٣٠]، وأجاب مَن يدعونه ويكثرون الدعاء، فقال لهم سبحانه: ﴿**أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**﴾ [آل عمران: ١٩٥]، مشيرًا بذلك إلى أن الدعاء وحده لا يكفي إذا لم يقترن بالعمل، بل لقد أمر رسول الله ﷺ أن يهيب بالناس للعمل الجليل المفيد الذي يحمده الله ورسوله والمؤمنون، فقال جلَّ من قائل: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥]، وفي الأثر: «البطالة تقسي القلب»، ولحكمة إلهية كان أنبياء الله ﷻ يحترفون، فكان منهم الراعي والنجار والخياط والحدَّاد.

المؤمن لا يستكبر عن عمل شريف يعف به نفسه ويصون ماء وجهه، فلقد مرَّ عليٌّ ﷺ على يهودي ينزع من بئر بدلو، وكان جائعًا، فلم يلجأ إلى المسألة لكنه عرض عليه أن يساعده، فقال له اليهودي: كل دلو تنزعه بتمرة، وعمل ﷺ فأكل من كسب يده، وحمل معه ما أطعم منه أهله.

إنَّ أي حرفةٍ مهما هانت هي أشرف من المسألة والشحاذة، وإن ماسح الأحذية أشرف ألف مرة من الشحاذ مهما استحدث الشحاذ من أساليب واصطنع من أكاذيب، وفي هذا يقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لأَنْ يَحْمِلَ الرَّجُلُ حَبْلاً فَيَحْتَطِبَ بِهِ، ثُمَّ يَجِيء فَيَضَعَهُ فِي السُّوقِ فَيَبِيعَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْنِي بِهِ فَيُنْفِقَهُ عَلَى نَفْسِه خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**».

إنَّ من يتقن حرفة من الحرف النافعة يأمن بفضل الله ومشيئته من الفقر؛ لأنه حيثما حل يحتاجه الناس في تجارة أو سباكة أو زراعة أو طب، وقديمًا قيل: حرفة في اليد أمان من الفقر، ويقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد: «**إنَّ الله يحب العبد المحترف، ومن كدَّ على عياله كان كالمجاهد في سبيل الله**».

إنَّ طلب الرزق الحلال شرف يدعو إليه ربنا ﷻ؛ إذ يقول سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**﴾ [الملك: ١٥]، ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الطبراني والبيهقي: «**طلب الحلال فريضة بعد الفريضة**»، وأوضح هذه العبارة بقوله في الحديث الذي رواه الطبراني أيضًا: «**إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لا تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ وَلا الصِّيَامُ وَلا الْحَجُّ وَلا الْعُمْرَةُ**»، قَالُوا: فَمَا يُكَفِّرُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ**».

وفي عظمة ثواب الساعي في رزقه يقول رسول الله ﷺ: «**مَن أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له**»، ورأى رسول الله ﷺ يد سعد بن معاذ وقد خشنت وتشققت من أعمال الزراعة، فقال: «**هذه يد يحبها الله ورسوله**»، لكن النبي ﷺ نصح المؤمن في سعيه أن يطلب رزقه في كرامة وبدون تكالب، وألا يلجأ إلى الرزق الحرام ومعاصي الله إذا أبطأ عليه الحلال، وفي هذا يقول النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الذي رواه البزار والحاكم: «**إن روح القدس نفخ في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته**».

والمؤمن لا يرضى أن يكون كَلاً على أحبابه وإخوانه، لكنه أبدًا يجد ويسعى ليأكل من كسب يديه، وهذا ما فعله أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين حين وصلوا إلى إخوانهم الأنصار بيثرب، فعرض عليهم الأنصار أن يشاطروهم أموالهم، لكنهم رفضوا ذلك ونزلوا إلى أسواق المسلمين يمشون في مناكب الأرض، ويبتغون من فضل الله، كما أمرهم نبيُّهم ﷺ؛ إذ يقول في الحديث الذي رواه البخاري: «**ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده**»، وفي مسند أحمد: «**أفضل الكسب بيع مبرور، وعمل الرجل بيده**».

وقد قرأنا في السيرة أن النبي ﷺ آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف، فقال سعد لعبد الرحمن: إني رجل ذو مال، ولي أكثر من زوجة أريد أن أقسم مالي، فأعطيك أحسن شطريه، وأطلق إحدى زوجتي لتتزوجها، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في مالك وزوجتيك، دلني على السوق.

وحين يحترف المؤمن تجد في عمله النصح والأمانة، كما تجد فيه التبكير والغدو النشيط متبعًا في أدبه هذا قول رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد: «**خير الكسب كسب يدي عامل إذا نصح**»، وفي معجم الطبراني: «**باكروا طلب الرزق والحوائج؛ فإن الغدو بركة ونجاح**»، وفي مسند أحمد أن النبي ﷺ قال: «**الصُّبحة** -أي: نومة الصبح- **تمنع الرزق**»، وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**».

والمؤمن في سعيه يتحرى نفع نفسه ونفع الإنسانية، فتراه حريصًا على أن يخدم أمته

بسعيه، ففي الحديث الذي رواه أحمد: «**إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها؛ فله بذلك أجر**».

ثم إنه إذا زرع نوى أن ينفع بزرعه كثيرًا من مخلوقات الله متبعًا بذلك هدي رسولنا ﷺ؛ إذ يقول: «**مَن غرس غرسًا أو زرع زرعًا، فأكل منه إنسانٌ أو سبعٌ أو دابةٌ أو طيرٌ؛ فهو له صدقة**».

والمؤمن في تجارته يكون ذكيًا؛ لأن التجارة حين تنتهز فرصها وتستغل مواسمها تأتي بكسب وفير؛ ففي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بالتجارة؛ فإن فيها تسعة أعشار الرزق**»، وروي أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل ومعه ثوب يبيعه، وكان الرجل طويلاً والثوب قصيرًا، فقال النبي ﷺ للرجل: «**اجلس فإنه أنفق لسلعتك**»، وذلك لأن الرجل الطويل حين يجلس يبدو الثواب الذي بيده طويلاً، أما حين يقف فيبدو الثوب الذي في يده وكأنه ثوب طفل.

هذا، ويلتزم المؤمن في سعيه أن يطرق أبواب النشاط الإنساني، فيحرث ويزرع ويصنع ويتاجر ويعدن ويصطاد لكي يستقيم لوطنه كل دروب النشاط الاقتصادي؛ لأن الله أودع البركة في هذه الأرض، وقدَّر فيها أقواتها، قال الله -تعالى- يتحدث عن خلق الأرض: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ**﴾ [فصلت:١٠].

وعلى الجملة؛ فإنه أعظم آداب المؤمن أنه يسعى جاهدًا ليكون جديرًا بتلك الخلافة السامية التي شرَّف بها الله الإنسان حين جعله في الأرض خليفة.

(٢) الحث على العمل والنهي عن التسول

الحمد لله الذي جعل العزة والكرامة لعباده المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله، قال في محكم كتابه: ﴿**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾[آل عمران: ١٣٦]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام الدنيا ورحمة العالمين، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه السادة المجاهدين، وعلى كل من سار على هديه وعمل بسنته وحكم بشرعه إلى يوم الدين.

قد يرى في ساحات القيامة رجال ونساء رءوسهم جماجم ليس عليها لحمٌ، يبدون في منظر قبيح لم يرضه الله لهم، لكن ارتضوه لأنفسهم، هؤلاء قوم حثهم الله ورسوله على العمل الشريف والكسب الحلال فأبوا إلا أن يحترفوا المسألة، واتخذوا حرفتهم الشحاذة المذلة، فلم تزل المسألة بهم حتى جفَّ ماء الحياء في وجوههم، وصوَّح[1] اللحم في قسماتهم، وهاهم يلقون ربهم وما في وجه أحدهم مزعة لحم.

ولقد أخبرهم رسول الله ﷺ بهذه المصيبة، فقال في الحديث المتفق عليه: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم**»، لكنهم فضَّلوا البطالة البليدة والراحة الممتهنة المضيمة حين رأوا أن العمل الشريف يتطلب الهمة والدأب والبكور والنشاط المتوكل على الله، ورأوا نفوسهم تافهة صغيرة وهممهم مهترئة حقيرة، فساقتهم نفوسهم إلى حمأة الشحاذة؛ ليعيشوا كذباب الموائد أو الطفيليات على الدوحة الزكية تمتص عصارتها، وتقضي على نضارتها، ثم لا تلبث أن تورثها تشويهًا وتعفنًا.

حقًّا إن أهل المسألة هم للمجتمع تشويه، وهم للكرامة مسخ، وهم في ميزان التربية نماذج من السلوك المعوج.

إنَّ دين الإسلام يجعل العمل عبادة من أحسن العبادات، فالساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وفي مسند أحمد: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يحب العبد المحترف، ومَن كدَّ على عياله، كان كالمجاهد في سبيل الله** ﷻ».

وفي الحديث الذي رواه الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لا تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ وَلا الصِّيَامُ وَلا الْحَجُّ وَلا الْعُمْرَةُ**»، قَالُوا: فَمَا يُكَفِّرُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ**».

ولا غرو؛ فإن أروع المثل العليا في الرحمة والإيثار والإنسانية أن يخرج العبد مقتحمًا موجات الحر والقر في ظلمات الليالي أو ساعات الهجير الحارة، وقلبه ممتلئ همًّا ليعف زوجه أو والديه أو أطفاله عن مسألة الناس، وليسعدهم بنوم هانئ في فرشهم الدفيئة، وهو يرى

(١) صوَّح: يبس حتى تشقق.

تعبه من أجلهم راحة للضمير وعملاً صالحًا يقربه إلى الله زلفى.

إنَّ الإسلام الحنيف جعل من أهدافه السامية صون الكرامة الإنسانية، وهو يرى أن العمل الشريف مهما كان مرهقًا هو أشرف ألف مرة من الوقوف بين يدي عبد وقفة مسألة سواء أعطاه بعدها أو منعه، فما أشرف أن يطلب العبد من المعبود! وما أحقر أن يحتاج العبد للعبد، وإذ ذاك يعطي الذلة!!

إنَّ العمل بالمسحاة وقطع الأخشاب وحمل الحجارة في الشمس الحارة.. كلُّ هذه أشرف من أن يقف العبد وقفة مسألة؛ لأن هذه أمورٌ تثقل الجسد، أما الوقوف الذليل فأمر يرهق الروح والجسد والعقل والقلب، وما أهون متاعب الأجساد إذا أغنت عن أوزار القلوب!!

روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ بايع أصحابه وكانوا في حدود سبعة إلى تسعة، فكان من ضمن ما بايعهم عليه ألا يسألوا الناس شيئًا، فالتزموا بذلك البيع، وحرصوا عليه حتى لقد كان أحدهم يسقط منه سوطه، فينزل عن دابته ولا يطلب من أي من المارة أن يناوله إياه.

لقد أهاب الإسلام برسوله ﷺ أن يدعو أمته إلى العمل، فأرسلها مدوية يقول فيها لعباده: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥]، وما أشرف العمل حين تعمله، والله ﷻ يرقبه هو ورسوله والمؤمنون.

لقد كان داود نبي الله عليه السلام حدادًا يأكل قوته من صهر الحديد وعمل السابغات والجفان، وكان زكريا عليه السلام نجارًا، وهي حرفة يتردد بعض أبناء الأسر في احترافها، وكان نوح عليه السلام نجارًا أيضًا، وكان إدريس عليه السلام خياطًا، وكان محمد -عليه الصلاة والسلام- راعي غنم، ثم أجيرًا ثم تاجرًا، وكان عثمان رضي الله عنه تاجرًا، وكان علي رضي الله عنه يأكل من كدِّ يده عاملاً.

وعلى الجملة؛ فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ ذوي حرف، حتى إن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان جزارًا.

ومن آداب السعي في الرزق أن يتقرب العبد إلى الله، ويتعبد به له، وينوي أن يستعين بكسبه على طاعة الله والإنفاق في الصالحات، قال -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه

الطبراني: «**طلب الحلال فريضة بعد الفريضة**».

ومن آداب كسب المعيشة أن يطلب بعزة نفس وإجمال في الطلب؛ ففي الحديث الذي رواه البزار والحاكم: «**اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإن ما عند الله لا يدرك إلا بطاعته**».

ومن آداب الكسب ألا يحقر المؤمن مهنته، بل يتقرب إلى الله بالإخلاص فيها؛ لأن كل المهن شريفة، ويحتاج إليها المجتمع المسلم، ولقد كان رسول الله ﷺ يحب اليد التي اخشوشنت من العمل، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَن أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا ذنبه**».

وقرأنا في السيرة أن رسول الله ﷺ التقى بسعد بن معاذ سيد الأوس ﷺ، وكان -عليه الصلاة والسلام- يحبه؛ لأنه من مؤسسي الإسلام بالمدينة، فمدَّ رسول الله ﷺ يده إلى سعد يريد أن يصافحه، فلاحظ أنه يستر عنه يديه فقال: «**ما شأنك؟**» فقال: كرهت أن أؤذيك بخشونتها، نحن أهل نخل وفلاحة تتشقق أيدينا وتخشن، فأمسك رسول الله ﷺ بيدي سعد ابن معاذ ذلك الصحابي العامل وقبَّل راحتيها، وهو يقول: «**هذه يد يحبها الله ورسوله**»، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ فيما رواه الديلمي: «**إنَّ الله تعالى يحبُّ أن يرى عبده تعبًا في طلب الحلال**».

ومن آداب السعي التبكير إليه، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا صليتم الفجر؛ فلا تناموا عن طلب أرزاقكم**»، ويقول: «**باكروا في طلب الرزق والحوائج؛ فإن الغدو بركة ونجاح**».

هذا، ولعل أشرف الكسب في نظر الإسلام هو عمل العامل بيده؛ لأن العمال في الأمة هم طاقتها البناءة، يقول الرسول الكريم ﷺ: «**أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده**»، ويقول فيما رواه الإمام أحمد: «**خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ**».

ومن آداب الكسب أن يتحرى فيه الحلال، وألا يخالطه السحت، قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري: «**أشدُّ الناس حسرة يوم القيامة: رجل كسب مالاً من غير حله، فدخل به النار**»، وقال فيما رواه أبو داود: «**لا يعجبنك امرؤ كسب مالاً من حرام؛ فإنه إن أنفقه وتصدق**

به لم يقبل منه، وإن تركه لم يبارك له فيه، وإن بقي منه شيء كان زاده إلى النار».

وفي سنن ابن ماجه حادثة طريفة تدلُّ على حرص النبي ﷺ على العمل لضمان الكرامة، فقد جاء إلى رسول الله ﷺ رجل من الأنصار يطلب منه صدقة فقال: «**أما في بيتك شيءٌ؟**» قال: بلى حِلْسٌ[1] نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء. قال: «**ائتني بهما**»، فأتاه بهما فأخذها رسول الله ﷺ، ثم قال: «**من يشتري هذين؟**» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: «**من يزيد على درهم؟**» يعيدها مرتين أو ثلاثًا، فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: «**اشتر بأحدهما طعامًا، فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قَدُومًا** (أي: فأسًا صغيرة لقطع الخشب) **فأتني به**»، ففعل فأخذه رسول الله ﷺ فشدَّ فيه عودًا (أي: ركَّب له عصًا) وقال: «**احتطب ولا أراك خمسة عشر يومًا**»، فجعل يحتطب ويبيع، فرجع وقد أصاب عشرة دراهم.

والمهم أنه حل قضية الرجل بأن دله على حرفة شريفة، ثم قال له: «**هذا خيرٌ لك من أن تجيء والمسألة نُكتةٌ في وجهك يوم القيامة**».

فضل الإنفاق في سبيل الله

إنَّ من أجمل الصفات التي نناجي ربنا ﷻ بها صفة الكريم، فأكثر ما يردد المرء من صفات الله إذا قام أو قعد أو توجه إلى عمله أو توجه لنيته أن يهتف بهذا الاسم الحلو الذي يملأ القلب المؤمن بالأمل والتفاؤل (يا كريم)، ولهذا فالنفس الإنسانية تهش للكرم وتحب من يولي الجميل ويسدي صنائع المعروف، بينما تبغض البخيل المنتن الذي يعيش حياته فقيرًا وهو من أصحاب الملايين، وشقيًا ومن حوله وسائل السعادة.

الكرم من صفات الله تعالى، وصفات الله -تعالى- نوعان: نوع يحب ربنا أن يتحلى به كالرحمة والكرم والعفو والمغفرة والحلم والرأفة، ولا بأس أن يسمِّي المسلم ابنه كريمًا أو حليمًا أو رءوفًا، فقد وصف الله نبيَّه ﷺ بأنه رءوف رحيم.

---

(١) الحِلسُ: نوع من الفراش، وهو كساء رقيق يوضع تحت برذعة الدابة لكي لا تؤذي ظهرها.

أما النوع الثاني من صفات الله، فما يجوز للعبد أن يتسمَّى بها أو ينازع الله فيها كالمهيمن والجبار والمتكبر والمصور والقدوس والخالق وعلام الغيوب.

إنَّ الكرم من الصفات التي ارتضاها ربنا لنفسه ولعباده، فالله ﷻ كريمٌ يحب الكرم والكرماء، ولو تصورت الكرم إنسانًا ما تصورت إلا أجمل صورة في الدنيا وسامةً وطيبًا ووضاءةً وسحرًا وحبًّا وإعزازًا، ولو أردت أن أرسم للبخل صورة لاستحضرت أشد الصور قبحًا ونتنًا ووحشيةً وكراهيةً ونجاسةً.

وما أجمل قول رسول الله ﷺ: «**إن الله جوادٌ يحب الجود**»، وجميل قول أبي الطيب:

وَكُلَّ اِمرِئٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وَكُلَّ مَكانٍ يُنبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

ومن الشعر الصادق قوله:

فَأَحسَنُ وَجهٍ في الوَرى وَجهُ مُحسِنٍ وَأَيمَنُ كَفٍّ فيهِمُ كَفَّ مُنعِمِ

وأجمل ما يكون الكرم إذا اقترن بالبشاشة وحب الخير والترحيب بالضيف، كما أن أقبح ما يكون البخل إذا اقترن باللؤم وجمود الشعور وسقوط المروءة، وقد رسم أحد الشعراء صورة حسية للبخيل وهو يختلق أعذارًا كريهة لبخله، فشبَّهه برجل شديد السواد له عينان شديدتا الزرقة:

وَلِلبَخيلِ عَلى أَموالِهِ عِلَلٌ زُرقُ العُيونِ عَلَيها أَوجُهٌ سودُ

ولقد قرأنا من صفات رسول الله ﷺ أنه كان أعظم الناس كرمًا، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ**»، أي: لا يجوز للضيف أن يطيل الإقامة عند مضيفه إلى أن يضيق عليه، وفي سنن أبي داود وابن ماجه: «**لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، إِنْ شَاءَ اقْتَضَى، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**»، وفي سنن أبي داود: «**أَيُّمَا رَجُلٍ أَضَافَ قَوْمًا فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا، فَإِنَّ نَصْرَهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَتَّى يَأْخُذَ بِقِرَى لَيْلَةٍ مِنْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ**»، وللأصبهاني: «**الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة**»، وفي مسند أحمد: «**لا خير فيمن لا يضيف**».

والحقُّ أن حرص الإسلام على الإنفاق في طرق الخير هو أمر يدهش العقول، وقد قرأنا في الصحيحين والسُّنن حديثًا طويلاً وددت لو يقرأه كل موسر وذي نعم؛ لأنه مروِّع حقًّا لكل من يبخل بحق الله في ماله، يقول من ضمنه رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَي بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**».

وفي رواية في الصحيحين: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ (يَعْنِي: شِدْقَيْهِ) ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**»، ثُمَّ تَلاَ قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وإنه لمن أغرب الغرائب في هذه الأيام أن تقوم مسابقة جادة وخطيرة في مجال التبرع والكرم والتضحية بالمال بين الغرب واليهود.

العرب المسلمون أساس الكرم وخير أمة أخرجت للناس والأمة الوسط التي تشهد على الناس يوم القيامة، تدخل في منافسة وسباق في التضحيات يهتف بها دين الإسلام وشرف المقدسات وشعب غصب المجرمون بيوته وأمواله، والطرف الثاني في السباق شعب وصفه الله بالحقارة وضرب عليهم الذلة والمسكنة، ولعنهم على ألسنة أنبيائهم، احترفوا الربا واشتهروا بالبخل وقتل الأنبياء والصالحين، يناصرون طغمة من المجرمين اغتصبوا الديار، ومسحوا التراث والآثار، وعاثوا في مساجد الإسلام يهدمونها، ثم تكون نتيجة السباق أن يبعث اليهود إلى دولتهم الظالمة بآلاف الملايين، ثم يتمخض حَمْلُنا عن دراهم متبوعة بمَنٍّ وأذى ترسل إلى الفدائيين تارة وتمنع تارة.

إنه أمر لا يقبله العقل أن يستجيب لنداء الباطل صنَّاع الفساد وتجار الأعراض، وأن يصم أحفاد الغر الميامين آذانهم عن هتاف سلفهم وداعي شرفهم، يذهب الجاني اليهودي إلى تاجر صهيوني في أصقاع الدنيا، فيقول له التاجر: اطلب ما تشاء فداءً لدولة إسرائيل التي أعدَّها رمز الدين اليهودي، ويقصد جامع التبرعات المسلم تاجرًا عربيًّا مسلمًا ليكسو أخاه في

برد المخيم أو يسلح أخاه في القمم الوعرة، فيمتقع لون التاجر الغني ويتململ حتى يخشى عليه الإغماء، وتدور عيناه كالذي يغشى عليه من الموت ثم يسرع في شكوى من كساد الأحوال واختفاء المال وجمود الأسواق وانقطاع الأرزاق، فيعود من عنده وهو يتوقع أن يرى عددًا من كبار التجار يشحذون على أبواب الديار.

يا للعجب أتباع أجل دين يحث على الكرم تجف وجوههم وأيديهم غداة المروءات وشرف التضحيات وأحفاد شيلوك من عبَّاد المال يجندون كل أموالهم ليدعموا اغتصابهم وباطلهم وعدوانهم وجرائمهم في ديارنا.

اللهم إنا نعوذ بك من زيغ العقول وسيطرة الهوى وغرور الدنيا، اللهم كما أكرمتنا بالإسلام فأكرمنا بأخلاق المسلم، وكما هديتنا للإيمان فامنحنا نوره وهدايته.

السعي إلى طلب الرزق
من طرقه المشروعة

اعترضني ذات يوم في السوق شابٌّ جلد مفتول الذراعين، وحكى لي قصة محبوكة خلاصتها أنه غريب وابن سبيل، وأنه ضاعت دراهمه فاحتاج أجرة الطريق، وطلب مني صدقة ليتمكن من العودة إلى بلده.

ولم أجاوزه إلا بخطوات وإذا شيخ طاعن في السن قد بسط على الأرض بساطين صغيرين جلس على أحدهما وعرض على الثاني ليمونًا للبيع وهو ينادي بصوت قد نالت منه السنون: الليمون جديد.. الليمون طيب، والناس يمرون به فمن مشترٍ ومن مساوم، وهو جاد في إعفاف نفسه وعياله عن سؤال الناس، والله ﷻ لا يضيع عمل عامل.

ومضيت عن المشهدين أفكر في الشاب القاعد السائل، وفي الشيخ النشيط العفيف العامل، كيف أحال الأول شبابه وقوته هوانًا ومذلةً وقعودًا ومسألةً، وكيف أحال الشيخ ضعفه وشيخوخته عملاً وإنتاجًا وسعيًا شريفًا وتوكلا منتجًا.

لقد سقى الأول مجتمعه بكسله كأس الهوان، وأنهل الثاني مجتمعه عصر القوة والحياة،

لقد جمع السعي والتوكل فنفع وانتفع في حين جمع الأول الكسل المحتال فتعس وانتكس.

تذكرت حينئذٍ موقف الإسلام الحنيف من السعي في طلب الرزق الحلال وما أعده للساعي على عياله من الكرامة وخصوصًا إذا كان في عائلته والدان ضعيفان أو أرملةٌ أو مسكين أو بنات أو أطفال.. تذكرت احترام الإسلام للعمل المنتج واحتقاره للكسل المتهالك، فأكدت حكمة الحكيم العليم الذي نادى في عباده في محكم كتابه: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥].. وتذكرت عظمة الإسلام الذي أبى على المسلم المسألة، وجعل أشرف كسب الرجل من عمل يده الذي يعف به نفسه ويصون كرامته عن تفضل العبيد.

وقد رأيت أن أوجه إلى رجال الأعمال وعمار الأسواق وأصحاب المؤسسات ليلتزموا بهذه الآداب حتى يزكوا كسبهم ويطيب ممشاهم ويرضى ربهم:

أولاً: المهارة في العمل وإتقانه شرف سواء أكان صناعة أو زراعة أو تجارة أو إدارة أعمال، فالله -تعالى- يحب إذا عمل العبد عملاً أن يتقنه، ولقد كان المهاجرون مع رسول الله ﷺ إلى المدينة تجارًا بارعين، فلم يلبثوا حتى عركوا السوق، وخاضوا ميادين العمل، فتفوقوا على كثير من إخوانهم الأنصار، ولقد قال أحدهما وهو عبد الرحمن بن عوف ﷺ يصف مقدار ما فتح الله عليه من مهارة في السعي: لو رفعت حجرًا عن الأرض لظننت أن أجد تحته ذهبًا.

وكان سعد بن أبي وقاص ﷺ ماهرًا جدًّا في صنع النبال وبريها، فأقبل أهل المدينة على نباله يفضلونها، وجمع إلى صنعته تلك تجارة، فكان من كبار أغنياء الصحابة.

وكان عثمان بن عفان ﷺ تاجرًا ماهرًا موفقًا يعرف متى يشتري ومتى يبيع، ويعرف السلع الرائجة، فأكل مالاً حلالاً مباركًا.

وكذلك كان طلحة والزبير -رضي الله عنهما- من كبار الموسرين، ومن قبلهما كان أبو بكر ﷺ متقنًا لتجارة البز (الملابس).

وكان عمر ﷺ ذا صوت جهوري استغله في الدلالة، فكان ميسور الحال، وكان يعجب بصاحب الحرفة، ويحتقر من لا عمل له، ولا غرو فقد عرف ﷺ موقف رسول الله ﷺ من العمل والاحتراف؛ حيث قال -عليه الصلاة والسلام: «**من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له**»، وقال: «**إنَّ الله يحبُّ العبد المحترف**».

ولقد كانت غالبية العشرة المبشرين بالجنة -رضوان الله عليهم- من الأغنياء، وقد نصروا الدعوة بأموالهم وأنفسهم، وأثبتوا للدنيا أن دين الإسلام دين القوة والعمل والسعي مصداقًا لقول نبيِّهم ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**».

وكان كثير من قادة المسلمين محترفين، فقد كان عمرو بن العاص ﷺ جزارًا، غير أننا يجب ألا ننسى أن رسول الله ﷺ كان راعي غنم ثم تاجرًا، وهو القدوة للأمة كلها، وكان كثير من الأنبياء لهم حرف معروفة كإدريس وزكريا وداود ويوسف -عليهم السلام.

ثانيًا: من آداب السعي إلى الرزق البكور؛ لأن وقت الصباح من أمتع الأوقات وأجملها وأبعثها للنشاط، وقد دعا رسول الله ﷺ أن يبارك الله لأمته في بكورها، وفي الأثر: «**باكروا الغدو في طلب الرزق، فإن الغدو بركة ونجاح**»، وفي مسند أحمد: «**نوم الصُّبحة يمنع الرزق**»، وفي «سنن البيهقي» أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «**يا بنية، قومي اشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين؛ فإن الله ﷻ يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**»، وفي سنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ نهى عن النوم قبل طلوع الشمس.

ومن المؤسف أن هذا الأمر شاع في الناس وكثيرًا ما ضيعت نومة الصبح المواعيد وفرص الرزق، وما أجمل أن يبكر الشباب المسلم إلى العمل وإلى الجهاد وإلى كل أنواع النشاط؛ ليبارك الله قوته وصحته.

ولقد قرأت أن غاز الأوزون وهو غاز يغلف الجو ويصدُّ الله ﷻ به الإشعاعات الضارة عن الأرض، وقرأت أن استنشاق هذا الغاز شفاء بإذن الله للصدر، وأن هذا الغاز ينزل إلى الأرض في الفترة من صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، فإذا أحس بحرِّ الشمس صعد إلى أعالي الجو، وقرأت للأسف أن هذا الغاز يستفيد منه غير المسلمين أكثر من المسلمين؛ لأن معظم الغربيين يقومون إلى أعمالهم وممارسة رياضاتهم قبل طلوع الشمس، بينما الكثير من المسلمين ينامون عن صلاتهم إلى ما بعد ارتفاع الشمس، من أجل ذلك كانت صلاة الفجر بركةً وصحةً ورزقًا وثوابًا عظيمًا، وكان مضيعها فاقدًا لكل هذه المواهب الإلهية.

ثالثًا: من آداب السعي في طلب الرزق ألا يلهيه عن ذكر الله وعن الصلوات وعمارة المساجد، فقد وصف الحق -جلَّ وعلا- رجال الأعمال الصالحين بقوله: ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ**

﴿تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، وفي الحديث الشريف: «**ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى**».

ومن آداب السعي ألا تغرق في تحقيق شهوات البطن والفرج ولو امتلأت خزائنك، حتى لا تكون ممن تخاطبهم الملائكة وهم يُعرضون على النار كما ذكر القرآن الكريم بقولهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

ولقد كان سلفنا ﷺ لا يسرفون في الشهوات على غناهم؛ فقد روي أن السيدة عائشة -رضي الله عنها- وزَّعت سبعين ألف درهم وهي ترقع ثوبها، ونسيت أن تبقي لنفسها ما تشتري به عشاء.

ومن آداب الكسب ألا يستعبد المال صاحبه، فيصبح المال أكبر هم المرء ومبلغ علمه ومولاه دون ربه، ولقد دعا رسول الله ﷺ على من يستعبده المال فقال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**»، يدعو عليه إذا دخلت جسمه شوكة ألا يستطيع انتقاشها، أي: إخراجها.

ومن آداب السعي أن يطلب الرزق بعزة نفس ودون تذلل؛ لأن الأمور تجري بمقادير، وكذلك من آداب الكسب ألا يقترن بالحرص اللئيم والشح المطاع؛ لأن الله كريم يحب الكريم، ويخلف عليه ما جاء به، وقد جاء من حديث رواه الإمام أحمد: «**مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ بُعِثَ بِجَنَبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَلاَ آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ بُعِثَ بِجَنَبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالاً تَلَفًا**».

ومن آداب الساعي أن يحاول جهده ألا تدخل بطون آل بيته وإخوانه أي سحت، وأن يجعل طعمته حلالاً؛ ليحبه الله ويستجيب دعاءه، وعليه أن يحوِّل كل درهم يكتسبه إلى حسنات تقربه إلى الله، وذلك أمر يسير على من يسره الله له، فمن أصحاب الأموال الطائلة من يصل بماله وإنفاقه إلى أعلى الدرجات، كما فعل عثمان بن عفان ﷺ حين جهَّز جيش المسلمين في غزوة تبوك، يقول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ

الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور: ٣٦- ٣٨].

روح التكافل والتلاحم في المجتمع المسلم

من أجمل آداب المجتمع المسلم روح التكافل التي تنتظم كلَّ أفراده، فترى كل مؤمن يحسُّ كأنه كافل لأخيه متضامن معه في سرائه وضرائه وفي سلمه وحربه وفي أمنه وخوفه، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وهذا الحديث يشتمل على تصوير رائع الإبداع لا يحتاج إلى شرح ولا إيضاح.

وانظر هنا إلى الصورة المتألقة البلاغة في تصوير التكافل في أمة محمد ﷺ؛ حيث يقول -عليه الصلاة والسلام- في الحديث المتفق عليه: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»، وشبك بين أصابعه ليمثل لأمته كيف يكون التلاحم في المجتمع المسلم.

ويؤكد الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- حقيقة التكافل الممزوج بالحب والإيثار، فيقول في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

ويتجلى تكافل الأمة الإسلامية في مظاهر تبهج النفس المؤمنة وتسر القلوب والعيون حين ترى تناصح الأمة في كل ميادين الخير، وترى تعاونها على البر والتقوى كما ترى كرمًا وتضحيةً وإيثارًا يستحيل أن تراها في أي مجتمع آخر، مصداقًا لقول الحق -جلَّ وعلا- يصف الأنصار -رضوان الله عليهم: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩].

ولقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن نتكافل في سياستنا، فنسالم من يسالم الإسلام، ونعادي من يعاديه، وأن يصدر حكام المسلمين في كل أرجاء الدنيا عن سياسة واحدة هي أن كل عدو

يقاتل المسلمين في دينهم، ويخرجهم من ديارهم، ويظاهر على إخراجهم -لا يجوز أن يؤمن شره، ولا أن يتخذ صديقًا أو وليًّا، بل لا بدَّ من قتال هذا العدو حتى يكف عن الكيد للمسلمين. إنَّ أي عدو يعلن حربًا على أي دولة إسلامية يصبح عدوًا لكل مسلم، ويحوِّل الجهاد من فرض كفاية إلى فرض عين.

إنَّ أمة الإسلام أمة صادقة الوحدة عظيمة التضامن، والمسلمون جميعًا كما وصفهم نبيُّهم ﷺ تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم، فقد قرأنا أن أم هانئ بنت أبي طالب -رضي الله عنها- أجارت مشركًا يوم الفتح، فمر أحد الجنود المسلمين وأراد أن يقتل المشرك، فقالت له أم هانئ: هو في ذمتي، وقد أجرته، ولما عرض الأمر على رسول الله ﷺ قال: «**لقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»، ونفَّذ النبي الكريم ﷺ إجارة المرأة المسلمة؛ لأن المجتمع المسلم كله متكافل.

وكما يتكافل المجتمع المسلم في سياسته يتكافل في الدفاع عن حوزته، وتتحول كل الجيوش الإسلامية في الشدائد إلى جيش واحد يقاتل كله لحماية حِمى الإسلام، ولتكون كلمة الله هي العليا.

لقد كان أعداء الإسلام عبر التاريخ يهاجمون الإسلام وديار المسلمين على حين غرة منهم، كما حدث في الهجمتين المغولية والصليبية وفي العدوان الاستعماري وفي الهجمة الصهيونية اللئيمة، لكن أمة الإسلام تصحو من الغفلة وتنتبه من الغرة، وإذا العدو الذي ظنَّ ظن السوء يرى كيده مرتدًا في نحره وتدبيره تدميرًا عليه.

انقسم المسلمون إبان هجمة المغول إلى سنيين يتزعمهم الخليفة العباسي، وإلى شيعة يؤلبهم الوزير ابن العلقمي، وخان الوزير الخليفة فتسبب في مصرعه، ودخل المغول من ثغرة الانقسام فدمروا الحضارة الإسلامية، وأحرقوا كتب العلم، ومارسوا ألوان القتل، لكن هاتفًا من ضمير الزمن ومن حجب الغيب ظلَّ يهتف بأمة محمد ﷺ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، وإذا التفرق بأمر الله وحدة، وإذا غطرسة المغول وجموعهم وجيوشهم الجرارة تتحطم كلها على صخرة عين جالوت، وإذا هتاف الحق المنتصر يصم آذان المغول وهو يشعل العزيمة المؤمنة بهتافه القوي: (واإسلاماه)، وقبيل ذلك انتهز الصليبيون انقسام الدولة الإسلامية إلى مقاطعات ودويلات، فانهالوا على أمة الإسلام كالسيل الجارف، وأعملوا السيوف في الرقاب حتى سال المسجد الأقصى بدماء المسلمين، لكن روح التكافل في أمة محمد ﷺ لم يزل يرفع

معنوياتها بعماد الدين، وينور طريقها بنور الدين، ويصلح شأنها بصلاح الدين، وإذا غطرسة الفرنجة تطير هباء في حطين، وتصير سرابًا في ميناء عكا، وإذا الكفر يولي مطأطئًا ومن ورائه تناصر المسلمين يطيح به إلى الأبد.

واليوم جاء دور اليهود وتألق الإعجاز النبوي الذي بشَّرنا أن كيدهم ولؤمهم ودولتهم ستتحطم كلها على عزائمنا وتطيح على سيوفنا، ويحاولون الاختباء فلا تواريهم أرض ولا جبل، وتتبرأ من نتنهم ورجسهم الأحجار والأشجار، فتدلُّ المسلمين على مخابئهم؛ ليريحوا الدنيا من خستهم ومكرهم ودسائسهم.

وكما يتكافل المسلمون في الحرب والسياسة يتكافلون أيضًا في الرزق والاقتصاد والرخاء والسلام، فلا ترى في المجتمع المسلم شقيًا ولا محرومًا، بل تراهم في ظلال الرخاء هانئين وتحت أعلام السعادة إخوانًا متكافلين متكاتفين، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ وهو يحث على الإيثار والكرم والأخلاق في الحديث المتفق عليه: «**طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة**»، وفي رواية لمسلم: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية**».

لقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن نعود بما يزيد من أرزاقنا على إخواننا المحتاجين، فقال فيما رواه مسلم: «**من كان عنده فضل زاد؛ فليعد به على من لا زاد له، ومن كان عنده فضل ظهر؛ فليعد به على من لا ظهر له**»، ثم ما زال يذكر من أصناف المال حتى ظنَّ الصحابة أنه لا حق لأحد أن يمسك الزيادة في الشدائد، وفي الحديث المتفق عليه يقول رسول الله ﷺ في الحث على التكافل: «**من مات وعليه صوم؛ فليصم عنه وليه**»، ومرَّ رسول الله ﷺ على عليٍّ رضي الله عنه وهو يدعو لنفسه ويقول: اللهم ارحمني، فضرب بيده المباركة بين منكبي علي وقال: «**أعمم ولا تخص؛ فإنَّ بين الخصوص والعموم كما بين السماء والأرض**».

وبعد، فإن الهزائم التي تلاحقنا في هذه الأيام إنما حاقت بنا؛ لأن روح التكافل زالت من سياستنا ومن جيوشنا ومن اقتصادنا، فرب عدوٍّ كافر يعتدي على ساحة الإسلام وله من المسلمين أنصار وأعوان، ورب بلد إسلامي جائع وإخوانه المسلمين ينفقون أموالهم على إبليس، ولو أن المسلمين كانوا يدًا واحدة على من سواهم لما استطاع العدو أن ينال منهم نيلاً،

ولكنا -نحن المسلمين- في هذه الأيام ينطبق علينا قول الشاعر:

وأعـــرق خلـــق الله في الـــذل أمـــةٌ تُضـــام ومنهـــا للـــذي ضـــامها جنـــد

فضل العطف على الفقراء والضعفاء

من الناس من إذا رأى بائسًا فقيرًا قابله بالاشمئزاز ونظر إليه في ازدراء وأوعز إلى حشمه وتابعيه أن يطردوه بأي وسيلة، ومن الناس من يعامل الناس على حسب تقواهم، فيحترم كل تقي ولو لم يملك من حطام الدنيا شيئًا، ويحتقر كل كفور ظالم ولو ملك كنوز قارون.

رُبَّ فقير تدفعه عن بابك وتطرده من أعتابك يكون يوم القيامة من أهل الشفاعة عند الله، ورُبَّ غني تضيق الخزائن بأمواله لا يقام له يوم القيامة وزن، وتراه يكبُّ على وجهه في جهنم في زمرة إمامه قارون.

ولقد كان رسول الله ﷺ يستنزل من عند الله نصره ببركة المؤمنين الضعفاء، ويقول لأصحابه: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!**» نعم فلرب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره، ولرب مترف يتمرغ في حلل الاستبراق لا يكلمه الله ولا ينظر إليه يوم القيامة ازدراءً لشأنه واحتقارًا لحطامه.

نظر رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه مقبلاً لابسًا جلد كبش لشدة فقره، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا رجلٌ أحب الله ورسوله**»، وذكر من حوله من أصحابه ﷺ بما كان يتنعم به مصعب رضي الله عنه من حلل وعطور، وكيف ضحَّى ذلك الصحابي الجليل بكل الأموال والمتع في مرضاة ربه ونصرة رسوله، لقد كان جلد الكبش أحب إلى الله ورسوله من آلاف الحلل؛ لأن الله ﷻ لا ينظر إلى الصور والمظاهر، لكنه ينظر إلى القلوب والأعمال.

لقد كانت بعثة محمد ﷺ وجميع الرسل من قبله بشرى للمستضعفين بالنصر وللظالمين بالدمار، يقول ربنا ﷻ: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرونَ**﴾ [القصص: ٥، ٦].

لقد كان رسول الله ﷺ صدرًا حنونًا لجميع الفقراء والضعفاء والأرامل والأيتام والشيوخ والعجائز، وما أجمل ما عبر عنه أمير الشعراء -رحمه الله- وهو يذكر هذه الحقيقة:

أَنصَفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى ... فَالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَواءُ

فَلَوَ أَنَّ إِنسانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً ... ما اِختارَ إِلّا دينَكَ الفُقَراءُ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره**» (ولا يقصد رسول الله ﷺ أن يذل لأعداء الله فقد يكون على ضعفه أسدًا كاسرًا على الظالمين)، ثم أضاف -عليه الصلاة والسلام- قائلاً: «**ألا أخبركم بأهل النار كل عتل**[1] **جواظ**[2] **مستكبر**».

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**».

وفي الحديث المتفق عليه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد، فافتقدها رسول الله ﷺ، فقالوا: ماتت (ويبدو أن الصحابة لم يرو موت امرأة أمة سوداء يستحق أن يخبروا به رسول الله ﷺ)، فلما أخبروه بموتها قال: «**أفلا كنتم آذنتموني**» (أي: أخبرتموني بموتها)، وقال: «**دلوني على قبرها**»، فدلوه عليه.

وقد أوصى ربنا ﷻ بالضعفاء فقال: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ**﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، ووصف الكافر أنه يهين اليتيم ويدفعه بيديه ليبعده عن مجلسه وبيته، فقال ﷻ: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ**﴾ [الماعون: ١، ٢].

وفي صحيح مسلم أن كبار الكفار من قريش طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد الفقراء المستضعفين من مجلسه خشية أن يؤذوا المشركين بمنظرهم، فنزل قوله -تعالى: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٢].

---

(١) العتل: أي الغليظ الذي لا يألف ولا يؤلف.

(٢) الجواظ: الجشع البخيل.

وروى الإمام مسلم -رحمه الله- أن رسول الله ﷺ أشار بالسبابة والوسطى، وقال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»، وفي رواية: «**كالقائم الذي لا يفتر، والصائم الذي لا يفطر**».

وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه رجلٌ يبدو عليه أثر الغنى والنعيم، فسأل -عليه الصلاة والسلام- رجلاً جالسًا عنده: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: هذا رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن يزوج، وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرَّ رجل آخر، فقال رسول الله ﷺ لجليسه: «**هل تعرف هذا؟**» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**».

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوصي بالبنات: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**».

وللقزويني أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلك على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة إليك** (أي: تركها زوجها فعادت إلى والديها) **ليس لها كاسب سواك**».

وروى الترمذي وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو أختين أو بنتين فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن؛ فله الجنة**».

وأشاد رسول الله ﷺ بالأرملة تتخصص في تربية أولادها، فيبدو أثر التعب في وجهها وصحتها، فقال ﷺ: «**أنا وامرأة سعفاء**[1] **الخدين آمت زوجًا، فحبست نفسها على يتاماها، أنا وإياها في الجنة كهاتين، وأومأ بالوسطى والسبابة**».

وفي مسند أحمد أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له -عليه الصلاة والسلام: «**امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين**».

ولقد كان رسول الله ﷺ عظيم العطف على الأيتام يقدر ما فقدوه من عطف أحب

(١) أي: لوحت الشمس خديها لكثرة ما تشتغل.

الناس إليهم، وكان يكثر أن يمسح على وجه اليتيم ويجامله، ورأته عائشة يومًا يرفع طفلاً ويمسح وجهه بيده ووجهه مترب، فقالت له: يا رسول الله، تفعل هذا لطفل مترب الوجه، فقال لها: «**يا عائشة، إنه يتيم، إنه يتيم**»، وجاء في «المعجم الأوسط» للطبراني من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه**»، وللترمذي من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ** (أي: ضمه إلى أولاده ليأكل) **أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ لَهُ**».

أهـل المعـــــروف

من آداب المؤمن أنك لا تراه إلا في محيط المعروف وفي آفاق الإحسان، فهو على كافة أحواله من مفاتيح الخير ومن مغالق الشر، إذا تكلم شفع، وإذا علا قدره نفع، ترى لسانه كأنه نظائم الدرر، وترى يديه كأنها سواكب المطر، ثم هو أبدًا بشوش وصول للأرحام، تجارته الكلام الطيب، وطموحه العمل الصالح، إنَّ أيسر وسعك بمعروفه ماله، وإن أعسر أرضاك بعذوبة روحه، كأنما عناه رسول الله ﷺ قال: «**طوبى لعبدٍ جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر**».

كأني بهذا المؤمن المحسن الجميل وقد ساد في ساحة القيامة جميل القسمات، كما كان في الدنيا والناس يأخذون بحجزته، ويطلبون معروفه فيشفع بأمر الله، ويقضي الحوائج برضاء الله، ولا غرو فقد قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأول من يدخل الجنة هم أهل المعروف**».

مثل هذا المؤمن تجده كريمًا على الله يربأ الله ﷻ بوجهه المتألق أن يهان؛ لأنه كان في الدنيا يربأ بوجوه الفقراء أن يذلها الخيبة، بل كان قاصدوه يخرجون من رحابه مجبورة خواطرهم متألقة قسماتهم مقضية حوائجهم، فلا عجب إذا جبر الله في القيامة خاطره، ونوَّر قسماته، وقضى حوائجه؛ إذ الجزاء عنده ﷻ من جنس العمل.

جاء في الحديث الشريف الذي ذكره الديلمي أن رسول الله ﷺ قال: «**أكرم الناس على**

الله رجل نظر إلى امرئ هو دونه فقضى حاجته»، وفي سنن أبي داود وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

إنَّ كلمة المعروف كلمة تحبها النفوس وتعشقها القلوب، فالمعروف هو ما تعارفت القلوب المؤمنة على حسنه وجماله ومنفعته، والمنكر هو ما أنكرته القلوب المؤمنة لرداءته ومضرته، ومن أجل ذلك فإن الله لا يضيِّع من المعروف شيئًا.

جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، وفي مسند أحمد «**إن من المعروف أن تفرغ دلوك في إناء أخيك**».

هذا والمعروف مقبول ومحترم عند الله حتى ولو صنعته إلى غني أو فاجر، فقد جاء في مسند الربيع أن رسول الله ﷺ قال: «**رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل برٍّ وفاجر**»، ومن ثم فالمؤمن يحرص كل الحرص ألا يضيع فرصة سانحة للمعروف، وجاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن فُتح له باب خير فلينتهزه؛ فإنه لا يدري متى يغلق عنه**».

هذا، ومن أجل أنواع الشفاعة هو الشفاعة عند سلطان يصعب الوصول إليه، روى البزار أن رسول الله ﷺ قال: «**من أبلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغه ثبَّت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام**».

إنَّ الإنسانية كلها عائلة واحدة تكفل الله ﷻ برزقها، والمؤمن حين يسعى في الخير قد ينال خيره العائلة كلها بما فيها من مؤمن وكافر ومن بر وفاجر، والله ربنا لا يضيع عمل عامل، يقول النبي الكريم ﷺ فيما رواه أبو يعلى: «**الخلق عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**»، وفي مسند أحمد: «**إن الخير لا يأتي إلا بالخير**».

ولقد كان رسول الله ﷺ أحرص الناس على صنع المعروف، وكان يقول: «**الخير كثير، وقليل فاعله**».

وكان يحثُّ على صنائع المعروف في كلِّ وقت من أوقات العمر، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البيهقي والبزار: «**نَامُوا فَإِذَا انْتَبَهْتُمْ فَأَحْسِنُوا**»، ومعنى الحديث مادمتم أيقاظًا، فجندوا أنفسكم للمعروف والإحسان.

هذا، والمؤمن حين تكون عنده زيادة من زاد أو ركائب؛ فإنه لا يحبسها، ولكن يعود بها على من لا ظهر له ومن لا زاد له.

ولعل من أعظم درجات المحسنين ومن أجل مدارج السالكين أن يجهد المؤمن نفسه في حوائج الناس وخدمتهم، روى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله عبادًا اختصهم الناس، يفزع إليهم الناس في حوائجهم، أولئك هم الآمنون من عذاب الله**».

ومن أدب المؤمن أنه إذا صنع إليه معروف أن يقول للمحسن: «**جزاك الله خيرًا**»، ففي سنن النسائي والترمذي يقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا؛ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**».

ولعل من أجمل الآداب إذا صنع إليك معروف أن تحدِّث عنه وتذكره؛ لأنك إن ذكرته شكرت صاحبه، فكتبك الله من الشاكرين، أما إذا لم تحدِّث عنه وتذكره وتتحدث بنعمة المنعم عندئذ تغفل عن الشكر وتفقد ثواب الشاكرين.

هذا، ومن الناس من إذا صنع معروفًا منَّ واستكبر، بل وإن منهم من يحب أن يمدحه الناس بإحسان لم يفعله، فتراه بخيلاً ويحب أن يقال: جوادًا، وتراه قاعدًا ويحب أن يقال: مجاهدًا، فمثل هذا لا ينجو من عذاب الله يوم القيامة، يقول الله ﷻ: ﴿**لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨]، ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الديلمي: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيرًا ولا خير فيه**».

هذا، وقد حبا الله ﷻ صاحب المعروف جمالاً من نوع خاص حتى ولو كان ذا صورة متواضعة، ومن ثم ترى وجهه حسنًا لما فيه من التهلل للمعروف والفرحة بالضيوف، يقول النبي ﷺ: «**التمسوا الخير عند حسان الوجوه**».

ومن آداب المؤمن إذا لم يؤته الله خيرًا يتصدق به أن يدل على الخير؛ لأن الدال على الخير كفاعله، فإذا سأله سائل مسألة علمية مثلاً وكان لا يعرفها دله على من يعرفها، وإذا سأله من يريد الزواج عن زوجة صالحة دله على أهل الدين، وإذا سئل عن أي خير دلَّ عليه ونصح.

وعلى المؤمن أن يعذر إذا سأل فلم يعط؛ لأن الله هو قاضي الحاجات، وما العبد إلا وسيلة، قال الشيخ محمد بن واسع للأمير مسلم بن قتيبة: إني أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن فيها لم تقضها وعذرناك.

وعلى العبد ألا يسأل إلحاحًا وألا يسأل ما لا يستطاع، وأن يدعو صادقًا مخلصًا لمن يساعده ويقضي حوائجه.

أدب التعامُّل مع المال

من آداب المؤمن أن يتعامل مع المال وفقًا للقواعد الكريمة التي أرسى الله عليها بنيان الاقتصاد الإسلامي، وهو اقتصاد -بفضل الله- يخلو من كل سوء أو مفارقة، ويحقق كل عدل وإحسان ومحبة، ويمكن أن يلخص الاقتصاد الإسلامي في ألفاظ قليلة خلاصتها أن يكون الكسب حرًّا على أن يخلو من أي ظلم أو ابتزاز أو كذب أو نصب أو احتيال أو احتكار أو غش، وأن تؤدي من الكسب الحلال كل الحقوق التي فرضها الله في المال، ولهذا يكون المؤمن ملتزمًا بأدب المال الصالح، فلا يكسب إلا حلالاً طيبًا، ولا يقبل المال الخبيث الحرام.

وهنا بعض آداب كريمة إسلامية يلتزمها المؤمن في كسبه وإنفاقه وتعامله ليطيب بإذن الله كسبه ويبارك سعيه:

أولاً: أن يجتهد في السعي ويعمل بكل جهده ومهارته وإمكاناته لتحصيل المال كي ينفع نفسه ومن يعول؛ لأن اليد العليا خير من اليد السلفى، والمؤمن القوي الغني خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، مع أنه في كلٍّ خيرًا، لكن القوي الغني يستطيع أن يخدم الإسلام والمجتمع الإسلامي والجيش المسلم بقوته وماله، وهذا ما لا يستطيعه الفقير الضعيف، وفي الحديث الصحيح يقول رسول الله ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**».

وقد كره الإسلام للمؤمن المسألة، وحثَّ المسلم على السعي لتحقيق العفاف، ففي الحديث الصحيح: «**من يستغن يغنيه الله، ومن يستعفف يعفه الله**».

والحفاظ على المال من سنن الإسلام؛ «**فمن قتل دون ماله فهو شهيد، كمن قتل دون عرضه ودينه**».

ثانيًا: أن يؤدي الحق المعلوم من ماله بإخلاص وطيبة نفس خاليًا من المن والأذى ومن الرياء والسمعة؛ لأن هذا مما يحبط العمل ويعصف بثوابه، ولا يحسبن المؤمن أنه لا حق في ماله إلا الزكاة، فالزكاة هي الحد الأدنى الذي به يعصم المرء دمه، لكن الثابت عند أهل العلم أن في مال المسلم حقوقًا غير الزكاة، فإذا تحقق للحاكم المسلم أن الزكاة لا تكفي لسد حاجات الفقراء جاز له أن يأخذ من أموال الناس ما يكفي لسد حاجات المعوزين وصون وجوههم وكرامتهم.

وهذا هو مفهوم الحديث الذي رواه الطبراني عن عليٍّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إلا إذا جاعوا وعروا مما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله محاسبهم يوم القيامة حسابًا شديدًا، ومعذبهم عذابًا نكرًا**». ومعنى الحديث أن المجتمع المسلم إذا كثر فيه الجياع والعراة والمعوزون؛ فإن هذا لا يحدث إلا بجرائم الأغنياء من ابتزاز وإغراق في الترف وإسراف ينظمهم في سلك الشياطين، وعندئذ يعذبهم الله عذابًا أليمًا، ويحاسبهم حسابًا شديدًا، وفي الحديث الكريم أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس على ذمتي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم**».

يقول ابن حزم في «المحلى»: «إنَّ الله فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إذا لم تكفهم الزكوات، فيقام لهم ما يأكلون من القوت الضروري، ومن اللباس الذي يقيهم البرد والحر، والمسكن الذي يقيهم من المطر والشمس ويسترهم عن عيون المارة.

وقد قرن الله -تعالى- إطعام المسكين وسد جوعته بركن الصلاة، فقال -تعالى: ﴿**إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۞ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**﴾ [المدثر: ٣٨- ٤٤].

وفي سورة البلد ما يوحي أن الله يقيم في القيامة عقبة تحول بين الناس والجنة، فلا يقتحمها إلا كل كريم متصدق رءوف القلب، يعتق الرقاب ويطعم في المجاعات ذوي القربى من الأيتام، ويطعم المساكين الذين تربت وجوههم من الفقر، قال تعالى: ﴿**فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾ [البلد: ١١- ١٦].

والإسلام لا يسمح في الشدائد والمآزق والسفر المهلك أن يكون عند المسلم فضل ظهر أي عدة ركائب، وفي السفر من يمشي مجهدًا على قدميه لا ظهر عنده، قال عمر ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء -أي: الزائد منها عن احتياجهم- وقسمتها على فقراء المهاجرين».

وفي حال الضرورات التي تشرف بالمرء على الخطر يجوز للفقير أن يأخذ من الزائد من مال الغني ما يسد ضرورته، بل أن يقاتل إذا منع من ذلك، فإن قتل الفقير الجائع اقتص من الغني، وإذا قتل الغني فإلى لعن الله، والمؤمن حين يحدق الخطر بدينه وحماه يتجلى عطاؤه ومنافسته في ميدان الشرف والجهاد في سبيل الله؛ ففي غزوة العسرة تبرع عثمان ﷺ بثلاثمائة بعير بأحمالها، فابتسم رسول الله ﷺ وهو يقول: «**اللهم لقد أعذر عثمان**».

والمؤمن مطالب أن يبسط يده في الخيرات وصنائع المعروف بالليل والنهار سرًّا وعلانية منتظرًا مثوبة الله العظيمة التي ذكرها في قوله ﷻ: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

وحين يدهم العدو الكافر ديار الإسلام ولا يكون في خزينة الدولة ما يكفي لشراء السلاح والعتاد وأقوات الجند، فإن الحاكم المسلم يفرض على الأغنياء ما تحتاج إليه المعركة، ولو استغرقت أموال الأغنياء كلها على ألا يصرف من هذا المال شيء على غير الجهاد.

وحين أراد السلطان قطز -رحمه الله- قتال التتار احتاج إلى الأموال، فأفتى له العلماء ومنهم عز الدين بن عبد السلام والقاضي بدر السنجاري وغيرهما من العلماء بأنه يجوز له أن يجمع من الأغنياء ما يعين على الجهاد وشراء السلاح، على أن يرد أمراء المماليك حلي نسائهم الباهظ الثمن إلى بيت المال، ولا يستعملوا نفوذهم في تخبئة أموالهم، والمؤمن بعد هذا يكرم ضيفه ويفتح بستانه للجائع، ولا يمنع ماعونه (أي: زكاته وعونه)، ويساعد من يعولهم في الزواج ليعفهم ويسعف بماله المشرف على الهلاك.

وعلى الجملة؛ فإن المؤمن حين يكرمه الله بالغنى يحول ماله بركة على المسلمين وإسعادًا لهم وقوة لمجتمعهم وعزًّا وشرفًا ونصرًا للإسلام والمسلمين.

الزكاة وأهميتها في الإسلام

التربية الإسلامية تقوم على تهذيب غرائز النفس لا على إنكارها وعدم الاعتراف بها، وغريزة حب التملك وحرية التملك يوليها الإسلام عناية عظيمة ويقف منها الموقف الوسط الذي تتميز به الشريعة الإسلامية.

والإسلام يصون الملكية الفردية ويقدسها ويعتبر العدوان عليها جريمة تستحق القصاص، لكنه إلى جانب ذلك يأبى أن يخالط الملكية الفردية سحتٌ أو ربًا أو ابتزاز أو احتكار أو رشوة أو غلول، كما يشترط أن يكون في مال المسلم حقٌ معلوم للسائل والمحروم، وقد وصف ربنا ﷻ الزكاة بأنها تربية إسلامية تطهِّر النفس وتزكيها وتسمو بها عن غرائز الحرص والشح والطمع، وهي غرائز يَسفُل معها الإنسان إلى دركات سفلى تجعله متحجر القلب جامد العواطف قبيح الظلم، ولعل هذا ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٠٣].

وهذه بعض أحاديث الأحكام المتعلقة بأهمية الزكاة في الدين الإسلامي والمجتمع المسلم:

- جاء في الصحيحين والسُّنن من حديث معاذ بن جبل ﷺ حين أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن: «**فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ** (يعني: بتوحيد الله والصلاة)، **فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ** (وفي رواية: ليس بينها) **وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**».

- وجاء في الصحيحين والسُّنن وكتب السيرة أنه لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر ما معناه: كيف تقاتل الناس وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، ويقيمون الصلاة، فقال أبو بكر ﷺ: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها»، فلما

رأى عمر ﷺ أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال عرف أنه الحق.

وثبت في كتب السيرة أن الصديق ﷺ قاتل مانعي الزكاة واستباح دماءهم وأموالهم حتى ثابوا إلى هذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

- وجاء في جامع الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أديت زكاة مالك؛ فقد أديت ما عليك**».

- وفي الحديث المتفق عليه: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**».

- وفي صحيح مسلم: «**مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لاَ يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلاَّ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ قَطُّ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا وَلاَ صَاحِبِ بَقَرٍ لاَ يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلاَّ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِقَوَائِمِهَا، وَلاَ صَاحِبِ غَنَمٍ لاَ يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلاَّ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا لَيْسَ فِيهَا جَمَّاءُ وَلاَ مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا، وَلاَ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلاَّ جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ**(١) **يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ فَيُنَادِيهِ: خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لاَ بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ**».

- وفي «الأوسط» للطبراني: قال رسول الله ﷺ: «**ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين**».

- وروى الترمذي من حديث أبي كَبْشَةَ الأَنَمَارِي ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ**». **قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً، فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**».

---

(١) أي: حية قرعاء.

- وجاء في سنن أبي داود والنسائي ومسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**من منعها**- أي الزكاة- **فإنا آخذوها منه وشطر ماله غرمة من غرمات ربنا تبارك وتعالى لا يحل لآل محمد منها شيء**».

أولاً: شرع الله الزكاة وجعلها ركنًا من أركان الإسلام؛ لأن المسلمين متكافلون في الله، ولأن المجتمع الإسلامي نموذج للمجتمع الفاضل المتآخي المتعاون على الخير، وقد بحث كثيرٌ من العلماء المسلمين عظمة الزكاة، وما يمكن أن تحقق من إسعاد المجتمع وتوفير أسباب النصر للأمة، وخرجوا من ذلك بإحصائيات مذهلة وتوجيهات في غاية الفائدة.

ثانيًا: تصرف الزكاة في الأوجه الثمانية الواردة في الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٦٠].

ويستطيع الحاكم المسلم أن يستثمر ما يدخل خزانة الدولة منها في إعداد المجاهدين في سبيل الله والإنفاق عليهم وعلى أسرهم وتعليم أبنائهم وفي شراء الأسلحة وصناعتها، وقد حسب أحد رجال الاقتصاد الإسلامي زكاة الأموال في العالم الإسلامي فوجد أنها تكفي أن تمحو كلمة (الفقر) من قاموس الأمة الإسلامية، ثم إنها بعدئذٍ لبناء جيش إسلامي من المجاهدين مجهز بأعظم الأسلحة، بحيث يظل دومًا تحت السلاح واقفًا للكفر ومؤامراته بالمرصاد.

ثالثًا: الزكاة ليست تفضلاً من مؤديها، لكنها حق عليه يؤديه في طرقه المعلومة، وإذا منع الغني الزكاة وكثر المال لقي من الله ﷻ أشد العقاب يوم يتحول كنزه من الذهب والفضة نارًا يكوى بها وجهه وجبهته وظهره، أو يتحول أفعى هائلة تقضم يده كما يقضم الفحل الهائج من الإبل يد من يستثيره فيكسرها.

أما من يدفعها كاملة طيبة بها نفسه؛ فإن له وعدًا من الله ورسوله أن يعوضه ربنا خيرًا بحيث لا ينقص ماله بالزكاة، وبحيث يزكو ماله وينمو ويطهر؛ لأن للفعل (زكا) معاني منها: نما وازداد، ومنها: طهر وأصبح وضاءً.

رابعًا: إذا منع المسلم الزكاة جاز للحاكم المسلم أن يأخذها منه بالقوة، وأن يصادر نصف ماله لبيت المال الإسلامي عقوبة لمانعها من جنس عمله، فقد أعماه حب المال عن واجب الدين، فكانت عقوبته أن يؤخذ منه هذا المال الذي أورثه شحًّا ممقوتًا أنساه أركان دينه.

خامسًا: تجب الزكاة على كلِّ مسلم حرٍّ يملك نصابًا، ويخرجها ولي الصبي والمجنون من مالهما، ومن كان عليه دين مالي لله أو للعباد لم تجب عليه الزكاة إلا بفضل من ماله بعد قضاء دينه، ومن مات وعليه زكاة وجبت في ماله، وكانت لها الأولوية على كلِّ الدائنين وعلى الوصية وحق الورثة، ويستحب أن يدعو من يتسلم الزكاة لمخرجها سواء كان متسلمها من قبل الحاكم المسلم أو من المستحقين للزكاة.

ومن الأدب الإسلامي ألا يمد المسلم الذي أغناه الله يده ليأخذ الزكاة؛ لأنه عندئذ يأخذ أوساخ الناس، ومن أحوج نفسه أحوجه الله.

إنَّ المؤمن القوي المكتسب لا ترضى له كرامة الإسلام أن يفتح على نفسه باب المسألة ولو لم يملك إلا أقل الكفاف.

نصاب الزكاة

في هذه الأيام تكاد الزكاة تكون واجبة على معظم المسلمين بدءً من أصحاب الملايين إلى أصحاب الدراهم المعدودة وفي هذا رفع لمعنويات ذوي الإمكانيات المحدودة حين يرى نفسه مساهمًا في بناء موارد الدولة الإسلامية، ولو بمبلغ زهيد.

إنَّ المبلغ الزَّهيد قد يحوله كرم الله الواسع إلى مثل جبل أحد، وذلك حين تخلص النوايا ويتحقق الإخلاص، ومن مَلَك مقدار خمسة وثمانين جرامًا من الذهب أو خمسمائة وتسعين جرامًا من الفضة وقدره العلماء بثلاثة آلاف ريال؛ فقد مَلك نصابًا وعليه زكاة.

وعلى هذا؛ فالمجتمع الإسلامي تبنيه جهود متضافرة على الخير، ويساهم فيه كل أبنائه كلٌّ بجهده، وهذه أحاديث في قيمة الزكاة نوردها ثم نوضح -إنْ شاء الله- ما اشتملت عليه من أحكام:

- جاء في سنن أبي داود عن علي ﷺ مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال: إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول، ففيها خمسة دراهم، وليس عليك شيء في الذهب حتى يكون لك عشرون دينارًا، فما زاد فبحساب ذلك، وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول.

- وفي الحديث المتفق عليه: «**ليس فيما دون خمس أواقٍ صدقة، ولا فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة**».

- وروى مالك -رحمه الله- أن يهود خيبر جمعوا لعبد الله بن رواحة ﷺ حليًا، فقالوا: هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله لتقدير دخلهم من زراعتهم، فقال لهم وهو يرد الرشوة: يا معشر اليهود، إنكم لمن أبغض خلق الله إلى الله، وما ذلك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنه سحت، وإنا لا نأكله، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

وفي صحيح البخاري أن معاذًا ﷺ قال لأهل اليمن: «ائتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخيرًا لأصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة».

وروى أصحاب السُّنن أن امرأة أتت النبي ﷺ بابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال: أتعطين زكاة هذا؟ فقالت: لا. قال: أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار؟ فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ورسوله.

وروى مالك -رحمه الله- أن عائشة -رضي الله عنها- كانت تلي بنات أخيها محمد يتامى في حجرها، ولهن الحلي فلا تزكيه، وأن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كان يحلي بناته وجواريه الذهب ثم لا يخرج من حليهن الزكاة.

أولاً: الزكاة في هذه الأيام في كل ما يملكه الإنسان من النقود؛ لأن الناس في أيامنا هذه يبيعون الزروع والثمار، فتتحول إلى مال ويتاجرون بالإبل عن طريق إطعامها الأعلاف المختلفة، ولم تعد هناك سائمة تأكل طول العام من كلأ الأرض النابت من ماء السماء إلا قليلاً، ومن ثم فمعظم الإبل والغنم التي يملكها الناس في زماننا هذا هي أقرب إلى عروض التجارة.

لقد كان الناس فيما مضى لا يبيعون الخضر من حقولهم، بل كانوا يتصدقون بها ويهدونها للجيران، ولم يكونوا يبيعون الألبان وغيرها من مستخرجات الأنعام، بل كانوا يوزعونها بعد أخذ حاجتهم، أما في أيامنا هذه فكل شيء يباع ويتحول نقودًا، ولهذا فمعظم الزكاة الآن هي إما نقود أو عروض تجارة، وفيما عدا بعض قطعان من الإبل والغنم في البادية يرعاها الرعاة، فإنك لا تجد تلك المظاهر القديمة للبداوة التي كان عيشها معتمدًا بالكامل على أنعامها السائمة، ومن ثم فسوف يكون معظم الحديث حول زكاة النقود وعروض التجارة.

ثانيًا: إذا بلغ ما يملكه الفرد ثلاثين ريالاً فما فوق، فعليه إخراج زكاته، وطريقة حساب الزكاة سهلة جدًّا وهي أن تقسم النقود على أربعين، ويكون الناتج هو الزكاة المطلوبة. مثلاً إذا كان عندك ثلاثون ريالاً فاقسمها على أربعين يكون الناتج ثلاثة أرباع الريال، وهو قيمة الزكاة المطلوبة على مبلغك، وإذا بلغ مالك مائة ريال فاقسمه على أربعين يكون الناتج ريالين ونصف، وهذا هو قيمة الزكاة، وبمثل هذه الطريقة اقسم الألف على أربعين تجد زكاتها خمسة وعشرين ريالاً، واقسم مائة ألف على أربعين تجد زكاتها ألفين وخمسمائة ريال، وزكاة المليون من الريالات بمثل هذه الحسابات هي خمسة وعشرون ألفًا، يخرجها المسلم طيبة بها نفسه ثم يعطيها لواحد أو أكثر من الأصناف الثمانية التي تستحق الزكاة كما جاءت في الآية الكريمة من سورة التوبة.

ثالثًا: زكاة الزروع والثمار تؤدى يوم حصادها أو قطافها ويُسنُّ أن يحصد المزارع زرعه نهارًا، ويقطف الفلاح ثماره نهارًا ليراه الفقراء ويحضروا ليأخذوا حقهم، والزكاة في هذا الحال هي عُشر المحصول إن كان سقيه بماء المطر فقط، ونصف العشر إذا سقي بالأجر.

رابعًا: زكاة الحلي اختلف فيها الأشياخ -رحمهم الله- تبعًا للأحاديث التي أوردناها حول هذا الموضوع، فمنهم من قال: لا زكاة في الحلي مطلقًا، ومنهم من قال: بل يزكي الحلي مهما كان قليلاً أو كثيرًا إذا بلغ النصاب، ومنهم من قال: الحلي المعد للبس، والذي يكون بالقدر المعقول لا يزكى، وإذا تجاوز ذلك زكى.

والحق أن الأحوط والأسلم هو أن تزكي المرأة المسلمة ما يرزقها ربها من الحلي كل عام وضمان -إنْ شاء الله- أن الزكاة لن تنقص من ذهبها شيئًا، بل على العكس فإنه ينمو ويزداد ويزكو ويطهر.

خامسًا: يزكى المال إذا حال عليه الحول وفي حال الموظفين وذوي الرواتب والتجار التي تتغير دخولهم كل يوم ربحًا وخسارةً يحدد لإخراج الزكاة وقت معين من العام كالعشر الأواخر من رمضان مثلاً أو أي موعد مناسب، ثم يحسب المال الموجود كله سواء ما يحسب بالأمس أو ما كسب قبل أقل من عام، وهذا الحساب في صالح الفقراء لكنه لا مناص منه من أجل ضبط الحساب في سهولة ويسر.

سادسًا: عمال الزكاة وموظفوها يجب أن يكونوا في غاية من العفة والنزاهة ونظافة اليد والضمير أسوة بأصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا يمقتون الرشوة والغلول، حتى إن اليهود أنفسهم لم يسعهم إلا الإعجاب بعبد الله بن رواحة ﷺ، فقالوا حين رفض ذهبهم ورشوتهم: بهذا قامت السموات والأرض، إنما يستقيم بشيوع العدل والتقوى والالتزام بالحلال.

سابعًا: أخذ معاذ ﷺ من أهل اليمن زكاة حبوبهم ثيابًا كانوا يصنعونها بدلاً من الشعير والذرة تبعًا لمصلحة المسلمين وراحة للمزكي، وإلى هذا استند نفر من العلماء الذين أجازوا دفع قيمة زكاة الحبوب نقدًا إذا كان هذا في صالح الفقراء.

أحكام متفرقة حول الزكاة

- جاء في سنن أبي داود عن أبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ بعثه مصدقًا (أي: عاملاً على الزكاة يجمعها)، فقال لرجل وجبت عليه بنت مخاض: إنها صدقتك (أي: هي القدر المطلوب منك)، فقال الرجل: ذلك لا لبن فيه ولا ظهر (يعني أن بنت المخاض[1] لا تصلح للركوب ولا تنتج لبنًا)، ولكن هذه ناقة عظيمة سمينة، فأبى أبيٌّ قبولها (لأنها أكثر بكثير من الواجب) إلا يعرضها على النبي ﷺ، فخرجا حتى عرضها الرجل على النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: ذلك الذي عليك (يعني بنت مخاض)، فإن تطوَّعت بخير آجرك الله فيه وقبلناه منك، ثم أمر النبي ﷺ بقبضها ودعا له بالبركة.

---

(١) بنت المخاض من الإبل هي التي سنها سنة واحدة وبدأت في الثانية.

- وروى أبو داود والترمذي عن عتاب بن أسيد ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرص العنب كما تخرص النخل (أي: تقدر)، ونأخذ زكاته زبيبًا كما نأخذ زكاة النخل تمرًا.

- وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**الْعَجْمَاءُ عَقْلُهَا جُبَارٌ، وَالْبِئْرُ جُبَارٌ، وَالْمَعْدِنُ جُبَارٌ، وَفِي الرِّكَازِ الْخُمُسُ**».

- وفي جامع الترمذي أن النبي ﷺ قال: «**ألا من ولى يتيمًا له مال فلتجر فيه ولا يتركه حتى تأكله الصدقة**».

- وفي سنن النسائي: «**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّةٍ سوي**».

- وفي مسند أحمد: «**لا صدقة إلا عن ظهر غنى**».

- وروى أصحاب السُّنن عن سهل بن حنيف ﷺ أن رسول الله ﷺ «**نهى عن لونين من التمر: الجعرور ولون الحبيق**»، وهي أنواع رديئة من التمور.

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد**».

وهذه بعض الأحكام المستنبطة من الأحاديث الكريمة:

أولاً: يُستحبُ لدافع الزكاة ألا يقتصر على الواجب منها فقط بل يزيد، فقد قبل النبي ﷺ الناقة العظيمة السمينة بدلاً من بنت المخاض، ودعا لصاحبها ويعتبر الزائد هذا صدقة مقبولة -إنْ شاء الله- تعالى مع خلوص النوايا.

ثانيًا: المزارعون وأصحاب المزارع الذين يزرعون الخضر والخيار والقثاء والبطيخ وسائر البقول كما يكون لديهم العنب والنخيل والقمح وغيرها يخرجون الزكاة مما يمكن حفظه واختزانه منها كالنخل تؤخذ زكاته تمرًا، والعنب تؤخذ زكاته زبيبًا بعد تقديره، أما الخضار التي تتلف بسرعة فلا زكاة فيها، لكن يتصدقون منها ويبيعون، وما يباع منها يدخله ثمنه في النصاب، وعندئذٍ تكون زكاته من ثمنه إذا حال عليه الحول.

ثالثًا: من ولى مال يتيم، فمن المشروع له أن يستثمره ويتاجر فيه كما يتاجر بماله؛ لأنه إن بقي دفعت زكاته كل سنة، وهو ثابت بدون نماء، ويعامل اليتيم إذا استثمر ماله كشريك والولي مؤتمن، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾ [البقرة: ٢٢٠].

رابعًا: من كان معه نقود، ولكن عليه دين لم تجب عليه الزكاة إلا إذا كانت نقوده أكثر من دينه، وبلغت نصابًا وحال عليها الحول؛ لأن الزكاة لا تكون إلا عن ظهر غنى، وإذا زاد عليه الدين ولم تنهض نقوده لسداده وألح عليه الغرماء جاز أن تعطى له الزكاة؛ لأنه عندئذٍ يكون من الغارمين، فلو أن مسلمًا له رأسمال قليل يتاجر به ثم ركبته ديون وألح الغرماء عليه ولم ينهض ماله للوفاء بالدين جاز أن يُعطى من الزكاة ولا إثم عليه إذا قبلها.

خامسًا: لا يجوز إن تصرف الزكاة لشابٍّ قوي قادر على الكسب إلا إذا تعطل عن العمل لسبب خارج عن إرادته دون تكاسل منه؛ لأن الإسلام دين العمل والقوة والكسب المشروع، كما لا يجوز أن يأكل من الزكاة آل بيت رسول الله ﷺ، فمن صحَّ لديه نسبه أنه ينتسب إلى آل بيت النبي ﷺ وجب عليه ألا يمد يده للزكاة؛ لأن شرف نسبه يحتم عليه أن يعمل ويدأب ويكسب عيشه بعمله كما كان يصنع علي ﷺ وآل البيت.

سادسًا: وممن لا يجوز أن يعطوا من الزكاة الزوجة والأب والجد وإن علا والابن والابنة وإن نزل؛ لأنك تعولهم شرعًا، أما الأخوات والإخوة والأقارب الآخرون فيجوز أن تعطيهم من صدقتك، وهي عندئذٍ صدقة وصلة، كما أن غير المسلم لا يعطى من الزكاة، ولهذا فإن من يتبرع لبعض المشروعات الخيرية في بلاد الأجانب لا يجوز أن يعتبر تبرعه من الزكاة؛ لأن الزكاة لا تعطى لغير المسلم، وإن كان يجوز أن يعطي من الصدقة (صدقة التطوع).

سابعًا: لا يجوز للمسلم أن يعمد إلى رديء ماله فيخرجه زكاة، كأن يخرج الحشف من ثمره، وهو ما ورد في الحديث باسم الجعرور ولون الحبيق، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ [البقرة: ٢٦٧]، والمعنى: لا تنفقوا من الرديء الذي لو أعطي لكم لما أخذتموه إلا عن تهاون وإغضاء.

ثامنًا: من وجد ركازًا (يعني: نقودًا ذهبيةً أو كنزًا) مدفونًا في أرض لم يتعب في استخراجه ولا في صهره وتصنيعه، بل وجده من دفن القدماء وجب أن يدفع المال إلى بيت مال المسلمين، أما المعدن الذي يستخرج من الأرض كالذهب الخام والحديد الخام، فهو لصاحب الأرض؛ لأنه يتعب في استخراجه.

أما إذا وجد في أرضه صرة نقود يتضح أنها عتيقة؛ فهذه يغلب أن تكون قد سقطت من صاحبها أو دفنها ليعود إليها، وهي حينئذٍ لُقطة يجب أن يعلن عنها، ويجري عليها أحكام اللقطة.

تاسعًا: إذا أخرجت زكاتك فتحرَّ أن تعطيها أهل الصلاح والتقوى، ومن ينفقونها في غير معصية وطلاب العلم والعائلات المستورة التي لا تريق ماء وجهها في السؤال، وتحسبهم أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافًا.

بعضٌ من آداب الصدقة والزكاة

هذه بعض الأحاديث الكريمة في آداب الصدقة والزكاة يُرجى بالتزامها - إنْ شاء الله- أن يتقبل الله من المزكي والمتصدق، وأن يعصم القلوب من النفاق والرياء والسمعة:

- جاء في سنن أبي داود أن النبي ﷺ سئل: أي الصدقة أفضل؟ قال: «**جهد المقل، وابدأ بمن تعول**».

- وروى الإمام أحمد أن النبي ﷺ أهدي إليه ضبّ، فلم يأكله، فقالت عائشة -رضي الله عنها: ألا نطعمه المساكين؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تطعموهم ما لا تأكلون**».

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقص مال من صدقة**».

- وفي صحيح مسلم أيضًا: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

- وفي الصحيحين: «**قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا**

يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ؛ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ؛ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ؛ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ».

- وفي صحيح البخاري: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**».

- وفي سنن أبي داود أن رجلاً جاء لرسول الله ﷺ بمثل البيضة من ذهب فقال: يا رسول الله، أصبت هذا من معدن فخذها، فهي صدقة ما أملك غيرها. فأعرض عنه ﷺ ثم جاء من قبل يمينه فأعرض عنه، ثم من يساره فأعرض عنه، ثم من خلفه فأخذها منه ﷺ وحذفها به، فلو أصابته لأوجعته وقال: «**يأتي أحدكم بجميع ما يملك، فيقول: هذه صدقة، ثم يقعد يستكف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى**».

- وفي الصحيحين أن زوجة عبد الله بن مسعود وامرأة من الأنصار سألتا رسول الله ﷺ إن كان يجوز أن تتصدقا على زوجيهما الفقيرين (أي من الزكاة)، فقال رسول الله ﷺ: «**لكما أجران: أجر القرابة وأجر الصلة**».

- وروى الجماعة أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها (أي: ماتت فجأة) وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إنْ تصدقت عنها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

- وجاء في الصحيحين والسُّنن ما خلاصته أن أبا طلحة الأنصاري ﷺ قرأ قول الله تعالى: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال لرسول الله ﷺ: إن أحب مالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**ربح البيع، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، وكانت بيرحاء بستانًا مستقبل المسجد عذب الماء طيب النخل، وكان يدخله رسول الله ﷺ ويشرب من مائه الطيب.

أولاً: من آداب الصدقة والزكاة أن تعطى للأقرب فالأقرب من الإخوة والأعمام والأخوال ثم الجيران وأفراد الحمولة، ففي الأثر: «**لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة**

محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم».

ثانيًا: يجوز للمزكي أن يظهر زكاته إذا كان يريد بإظهارها حث المسلمين على الإحسان، وأن يسن في مجتمعه سُنة حسنة، ولكن الأفضل إخفاء الصدقة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقد جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله بما فعلت يمينه**».

ثالثًا: ومن آداب الزكاة جهد المقل، فرُبّ رجل ضعيف الحال ينفق ريالاً فيكون عند الله خيرًا من ألف ريال، وذلك مع توفر الإخلاص والصدق.

إنَّ أصحاب الأموال القليلة يجب أن يعوِّدوا أنفسهم على الصدقة والزكاة والإحسان لتظل طبائعهم زكية بالكرم وصنائع الخير.

رابعًا: ومن آداب الزكاة أن تطيب بها النفس، فيخرجها المسلم من أطيب ماله ويخرجها واثقًا بأن الله سيخلفها عليه ويخرجها وهو سعيد بما هيأ الله له من صنائع الخير ومعتقدًا أنها أعظم فائدة وأجل نفعًا من ماله الذي بقي له؛ لأن ما عند العبد ينفد وما عند الله باقٍ.

خامسًا: على الزوجة أن تعتبر زوجها أقرب المقربين إليها، وإذا افتقر أو أصابه غرم أو دين سارعت إلى إعطائه من مالها أو من زكاتها ما يفك إصره ويفرج كربته.

سادسًا: إذا فتح مجال العطاء لمستحقين أو لمشروع خير فعلى أول المتبرعين أن يرسم القدوة الحسنة فيعظم العطاء؛ لأن حملة التبرعات إذا بدأت بتبرع هزيل ظل العطاء هزيلاً.

سابعًا: على المسلم أن يتحرى في صدقته مستحقها من الصالحين وطلاب العلم والمغتربين له، وإذا بذل جهده في التحري ثم علم أن صدقته وقعت في يد غير مستحق، فعليه أن يحمد الله، وليس عليه شيء ما دام قد بذل جهده، مثل ذلك المحسن الذي أراد إخفاء زكاته بليل، فوقعت في أيدي غير مستحقيها من لص وزانية وغني.

ثامنًا: ومن آداب الزكاة ألا يتصدق المزكي والمتصدق بكل ماله؛ لأن هذا العمل

يناقض الحزم، ولأن الأمر الإلهي الحكيم في تقدير الزكاة والصدقة هو أعظم من اجتهادات العبيد، وقد نهى ﷺ عن أن يتصدق الإنسان بكل ماله حتى لا يتكفف الناس ويمد يده إليهم.

وقال لسعد ﷺ حين استشاره أن يتصدق بماله: «**الثلث والثلث كثير**»، وحذف قطعة الذهب التي أحضرها صاحبها عليه، وكانت كل ما يملك ولو أصابته لآذته، ونهاه أن يتصدق بها ما دامت هي كل ما يملك.

التاسع: أن يتفقد في صدقته وزكاته والديه وأرحامه وموتاه؛ لأن كل ما يفعله الحي من أجل موتاه من الصدقة والدعاء والصوم والحج والزكاة يصل إليهم، والعاقل يتعهده والديه في حياتهما بالبر بعد موتهما بالدعاء والصدقة وسداد ديون الله وديون العباد عليهما.

هذا، ومن أهم آداب الصدقة والزكاة ألا يتبعهما المن والأذى؛ لأن ذلك يبطل الأعمال وهو كالإعصار الخارق ينزل بالحديقة الغناء فيدمرها.

(١) آداب البيع والتجارة

البيع والتجارة في الإسلام من مصادر الرزق الشريف الحلال، قال الله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ [البقرة: ٢٧٥]، لقد كان العشرة المبشرون بالجنة معظمهم تجارًا فرزقهم الله -تبارك وتعالى- بالأمانة وصدق المعاملة مالاً حلالاً أنفقوه في سبيل الله وأعزوا به الدين.

ولقد رسم الإسلام الكريم للتاجر المسلم فضائل من القول والعمل بها يطيب الكسب وتتضاعف البركة ويتطهر المال من السحت، وليس في الدنيا أشرف من التاجر المسلم إذا اتبع هذه الفضائل والتزم بحدود ما رسمت له الشريعة الغراء.

روى الترمذي وابن ماجه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء**».

وإلى الأخ البائع هذه الطائفة من آداب البيع والتجارة كما ترسمها الشريعة الغراء:

١- ذكر الله أثناء البيع حيث تكون الغفلات في السوق؛ لأن ذكر الله يوقظ القلوب إلى التقوى